سوء كوول

يسرا مسعد

نوفيلا

شخابيط وردية f

#تعالوا_نعيش_الواقع

Des: Yosra Mosad



سوو كوول

نوفيلا

#تعالوا_نعيش_الواقع



جروب

شخابيط وردية

إبداع الحرف وعشق الأبجدية

للدخول للجروب على الفيس بوك

/www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia

بقلم

يسرا مسعد

تصميم

غلاف/ يسرا مسعد

داخلي/ صابرين الديب

فريق عمل "شخابيط وردية"



البداية

بمجلدات معظمها غربية أو شرقية.. فنحن لسنا بصدد تفنيد!

البطل شاب وسيم ،فارع الطول ،شديد الفتنة بكلمات وهمسات يخترق بها قلوب العذراى

غيور لا يقبل بحبيبته أي شريك حتى نسمات الهواء العابرة قد تكون متحرشة .من يعلم؟

تريدون دليلا

الأمر بسيط فكما قال الشاعر

"لما النسيم بيعدى بين شعرك حبيبتي بسمعه بيقول آهات"

لماذا تنطق النسمات بالآهات وقتها ،الأمر بديهي

لأن العاشق قد أشبعها ضربا

فلماذا اختارت المرور من بين خصلات حبيبته ولم تمر من جانبها مرور الكرام!!

ولذلك لابد أن يكون أيضا قوي البنية يحطم من يقترب من معشوقته بسوء

وقد يتركها تبكي لليال عدة ثم يأتي ليمنح اقترابا وعفوا وتنقشع الحقيقة بعدها بأنه كان يخاف عليها ،أراد لها الخير ولكنها تعجلت ،لم تتفهم حاجاته ولا دواخل نفسيته المشبعة بالكبرياء التي لا يجب أن تمس بشاردة وعشقا تأجج بالصدر أضناه

(١)

"قولوا له قولوا له

قولوا له الحقيقة

قولوا له بحبه بحبه من أول دقيقة"

الأغنية كانت للعندليب

المكان

بحي من أحياء القاهرة المتوسطة

الزمان

كان منذ أربع سنوات أو ربما أربعون فلا فارق

وقتها كانت طالبة بالثانوية العامة

الفتاة الصغرى لأربع شقيقات استقرت اثنتان منهن بمنزل الزوجية خارج البلاد والأب قد رحل منذ أعوام تكاد تذكر ملامح باهتة عن حياتها في كنفه

وماكان يحدث فعليا أنها كانت فتاة بسنوات عمرها اليافعة تنتظر نتيجة الثانوية العامة بفارغ الصبر والاحتمال ،والاحتمالات ليست بكثيرة

هي كانت طالبة متفوقة والجميع يشهد بذلك وأثناء انتظارها الملول كان هو دوما حولها

أينما تستدير تراه

يحيطها بعنايته ورعايته الفائقة والأهم ناظريه

فهو وريث لسلسلة محال للبقالة وإحداها لا يبعد عن منزلها إلا بأمتار قليلة

وكما يعلم الجميع أنها له وإن طال الأمر قليلا ،فالفتاة لم تبلغ السن القانونية بعد

وهو ليس بحاجة لصوت العندليب فقد أعلنها بصوته مرارا وتكرار

"مريم هتبقا مراتي وأي واحد يفكر يقربلها هتكون دي نهايته"

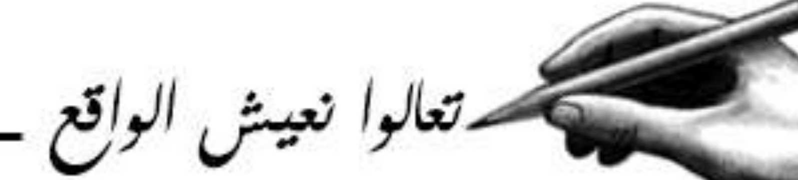
والغضنفر لا يتوانى عن بذل أي مجهود يذكر في سبيل ذلك

سواء كان مشروعا بعرضه الشهم والجاد فور أن تنتهي من الثانوية العامة سيكون مستعدا للزواج منها وهو لايريدها سوى فقط "بشنطة هدومها" أو حتى تلك قد يستغنى عنها

أو بممارسات غير مشروعة بفنون البلطجة تجاه أي ذكر يلّمح فقط باقتراب

أغلقت النافذة فور دخول أختها الكبرى لغرفتها دون استئذان كما اعتادت دوما

وتأففت هي كما المعتاد



-قولتلك مليون مرة تخبطي

فردت أختها بإستهزاء :

-قولتلك وقولوا ومن هنا لهنا مش هنخلص ،قومي يا حبيبتي يالا حماتك قاعدة في الصالون مستنية

فاحمرت وجنتيها واضطربت كأي صغيرة بعمرها :

-بطلي تقولي حماتي أنا مش هتجوز غير بعد ما أخلص جامعة

فلكزتها أختها بغيظ :

-واحنا هنفضل في المورستان ده لحد أمتا ،وبعدين أنت مش نفسك في بيت ليكِ لوحدك

نعم هي ترغب وتطمع وبشدة في تلك الاستقلالية ،بيت منفصل عن أسرتها الكبيرة وغرفتها الصغيرة المكدسة ،لتكون أميرة بمملكتها دون منازع

وأخرجتها أختها من دوائر الحلم اللامنتهية :

-وبعدين بطلي بطر ،ده كفاية طارق بيعشق التراب اللي بتمشي عليه ،مش زي المدعوق خطيبي

والتفتت رغما عنها نحو النافذة المفتوحة على مصراعيها ورأته بجسده الأسمر الفارع الرياضي يتمرن برفع بضعة أثقال لكأنما مصنوعة من الفلين لا أكثر، وسيما ولا تستطيع أن تنكر

تكاد فتيات الحي يتقاتلن لقاء بسمة منه أو إشارة ،ولكنه كالصنم بمعبدها لايتزحزح قيد أنملة بعيدا عن محراب عشقها.

وفي غضون أيام ظهرت نتيجة الثانوية العامة وكان يوما لا ينسى

استوقفها بطريق عودتها أو بالأحرى عندما كان يرافقها

فخطوتها تسبقه بخطوة وحيدة فاصلة

وعند مدخل العقار حاصرها مقتربا بحميمية واللون الأحمر يغزو ببقعته المميزة حدود وجنتيها قائلا بنبرة صوته الخشنة:

-مبرووك

فابتسمت بضعف وهي لاتستطيع رفع أعينها لتواجهه:

-الله يبارك فيك.

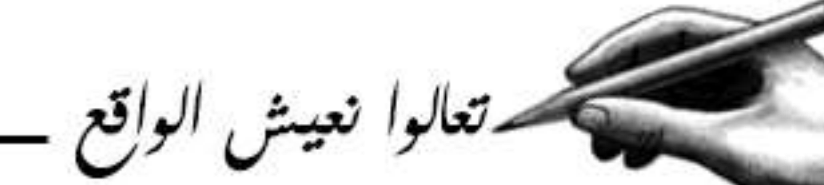
واقترب أكثر قائلا بتملك:

-عقبال فرحتنا الكبيرة

حاولت الهرب لكن أنامله قبضت على كفها قائلا :

-من هنا ورايح مافيش خروج غير بإذني الدروس وخلصت، ماقدرش استحمل الهوا الطاير حتى يلمس طرفك

فاعترضت بذهن مشوش:



-بس التنسيق

فوضع إصبعه مقابل شفتيها الوردية :

-ماتوجعيش قلبي يا مريم بموت ألف مرة من خوفي وقلقي عليكِ

وبسذاجة المراهقات أمثالها صعدت الدرج وهي تهمس لحالها :

-سلامة قلبك

وبنهاية الأمسية كانت مخطوبة رسميا لطارق "سو كوول" تلك كانت كنيته بين فتيات الحي

فهو بطل رياضي يجيد فنون القتال والملاكمة ،هيئته تنم على ذوق رفيع وسيارته على أحدث طراز

والشبكة كانت من خمس قطع ذهبية بوزن لا يستهان به

وذرات الملح المنثورة من حماتها أصابت عين الحضور جميعا حتى العروس الخجول

وعندما حل منتصف الليل تلقت أول مكالمة هاتفية غرامية بإمتياز موقد حراري محلي الصنع ،بدايتها كان وعدا بقضاء شهر العسل في جزيرة بعيدة كانت قد نسيت اسمها في الصباح التالي وآخرها تفاصيل حميمة لا قبل لها بها واحمرت وجنتيها خجلا تحت أنظار أختها التي انفجرت فيها غيظا قائلة :

-ماكفاية بقا حب سيبو حبة لبعد الجواز

ثم زفرت وهمست كمدا :

-ينيلك يافتحي نايم من العشا

(٢)

العرس كان بنهاية الشهر ،ليلة تحاكى فيها الجيران والأقارب عن حظ اليتيمة الوافر على الرغم من عدم التكافوء في المستوى التعليمي بينهما

فالعريس شاب في مقتبل عمره مكتمل القوة والعنفوان وريث لسلسلة من محلات البقالة تدر عليه دخلا أكثر من جيد وما أهمية شهادته الجامعية إلى جوار كشف الحساب بالبنك الذي يحتفظ فيه بكل أمواله

***

هاتي بوسة يابت

هاتي....

"احم احم ،شيئا لا يجوز ذكره بين أسطر تلك الرواية "

الصوت

لا تدري صاحبه

الزمان

ليلة الدخلة

المكان

بغرفة النوم

وهي كأي عروس

خائفة

خجلة

متوترة

وهو كان كأي رجل يريد ترجمة مشاعره الفياضة حسبما ترآى له

دون النظر للاعتبارات السابقة

والمحصلة كانت ملائمة له لحد بعيد كمحصلة فتح عكا ومقاتلة جيوش التتار

أما هي فنالت فقط

دماراً،

وعبرات اختلطت بكحل عينيها فطمست زينة وجهها

فبعد أن اختلى بنفسه في غرفة الصالون ليبتلع حبة من العقار الأزرق ،ليصبح بعدها كمحرك سيارة فور باي فور بمواجهة محرك سيارة ١٢٨موديل سنة ثمانون..

وهي في واقع الأمر المسكينة ذات الستون كيلو جراما بالداخل ،

وقبلها تشبعت أنفاسه بسيجارة محشوة بالعشبة المحرمة مع ثلة من أصدقاء السوء يوهمونه بأنه سيخلد في التاريخ بعد تناولها

دفع باب الغرفة بقوة وهي لم تكن انتهت بعد من خلع ردائها الثقيل والمميز بلونه الأبيض الذي تحلم به أي فتاة في عمرها

أو لنقل لم تكن حتى بدأت بخلع طرحتها مع شعور عارم بالخجل يجتاحها ،فالغلالة التي دستها لها أختها بالخزانة الخشبية دون علم الوالدة فاضحة للغاية ،وكانت أكثر ميلا لإرتداء بيجامة حريرية بأكمام ولكنها خافت أن تثير ضيقه فآثرت الجلوس بردائها كما هي

فاندفع بخشونة معترضا :

-لسه ما غيرتيش؟!

فاحمرت وجنتها وتعرقت كفوفها وقالت بصوت هامس :

-شوية بس يا طارق

ولكنه لم يكن ينصت فالتخيلات التي أصبح يراها واقعا متجسدا أصبحت تشوش على فكره بالإضافة لخبرته الفقيره

فامتدت أنامله بقوة ينزع عنها الرداء ،ولسوء حظ المسكينة فالرداء الذي أصرت حماتها على ابتياعه من أجلها كان يضم جسدها النحيل بأربع وعشرون زرا ،وعند الزر الثاني بالكاد كان قد فقد صبره

وبعدها كان صوته رقيقا به لمحة من الملل:

-خلاص بقا يا مريوم ماكنش قصدي قومي اتشطفي واغسلي وشك كده

فخطت بأرجل مرتعشة فوق الثوب الممزق وخطواتها تائهة فما حدث لها منذ دقائق لم يخطر على قلبها ولا حتى أعمق أمانيها بهاتف من قبل وعندما عادت كان قد غط في نوم عميق وصوت شخيره يهز جنبات الغرفة

وجاورته خائفة أن يعيد الكرة

ولسان حالها يردد

"الله يسامحك ياماما أنتِ وحماتي وهبه قطب في ليلة واحدة"

وفي الصباح التالي كانت حماتها فوق رأسها تطلق زغروطة وصلت لأسماع الجيران بالتأكيد

-ألف مبروك ياعروسه

فضمت الغطاء حولها ولفته بإحكام وقالت بخجل مضاعف :

-الله يبارك فيكِ يا طنط

واتسعت عينا حماتها وقالت ضاحكة بمكر وهي ترسي القاعدة الأولى في حياتها :

-لاء طنط إيه قوليلي يا ماما

وأمها كانت تقف بباب الغرفة لا تتقدم، دلفت فقط بعد خروج حماتها لتطمئن على ابنتها وعندما نالت مشهد

الثوب الممزق ابتسمت بوهن وخرجت مسرعة ،لكن أختها الفضولية قفزت إلى جوارها تلكزها بكتفها كما اعتادت قائلة بحسد :

-يابختك يامريوم

فقامت وتدثرت بقطعة إضافية لا طائل منها

-عريس زي القمر وبيحبك كل الحب ده ،

وتنهدت وقالت بحرقة مشاعر فضولية :

-احكي بالتفصيل حصل إيه امبارح ؟

فاتسعت عيناها وكادت أن تصرخ بها :

-أنت اتجننتِ يابنتي ،أحكي إيه ؟

-شالك ،هه؟!

عندها نالت نظرة غير راضية

-طب زقك بالعافية جوه الأوضة؟

وكانت النظرة زاجرة

ورغم ذلك لم تهتم ومضت تستجوبها

-طب عملتي معاه إيه ،زقتيه قام أخدك في حضنه بالعافية

وعندها صرخت بها :

-منى ،كفاااية

لكن منى الكبيرة العاقلة لم تصمت وهمست بمكر :

-طب قطع الفستان إزاي وليه ؟

فوضعت يديها أعلى أذنيها لتنهر الشقيقة الشقية ذات الخيال البعيد الواسع ،خيال منبعه روايات عاطفية رخيصة تستهين بالأذهان وتطيح بسقف التوقعات ،فما حدث حقا كان مؤلما، مخزيا ،يفوق استيعابها حتى تلك اللحظة ،ولم يكن بتلك الحميمية التي تظنها الساذجة

-كفاية بقا ،كفاية

ولكنها لم تكن تنصت فهي واقعيا على أرض الأحلام :

-يابختك يامريم ،يابختك.ده طارق طلع بيحبك حب



(٣)

وفي المساء كانت عابسة رغما عنها واقترب منها بحميمة يدللها

-الجميل زعلان ليه؟

-هوا يصح برضه اللي مامتك عملته الصبح ده

وبالطبع عندما تأتي سيرة الست الوالدة عبس واضجر :

-عملت إيه؟

نكست رأسها وقالت بصوت خافت تلومه:

-أنا اتكسفت صحيت من النوم لقيتها فوق راسي مش كنت تصحيني ألبس هدومي وأطلع أسلم عليها

فضحك بخيلاء والضمة منه كانت أكثر من متطلبة:

-الحق عليها أنها كانت عاوزة تطمن عليكي وتطمن مامتك

فاعترضت :

-حياتنا مش مشاع يا طارق

ولكنه لم يكن رجل يرغب بسماع شكوى أو اعتراض فقال بحزم :

-خلاص بقا يامريم مرة وحصلت ماتكبريهاش

وبنهاية الليلة الثانية يكاد مشهد سعيد صالح يتجسد حيا بركن الغرفة تحت ناظريها وهو يقول بفكاهية أضحكت الجمهور

" طبق الأصل العلقة اللي فاتت"

ولسخرية الواقع وعلى الرغم من الآمها التي كانت تصدح بجسدها ،ضحكت هي الأخرى

فوصلت لأسماعه ضحكتها من بين سبات نومه الذي غط فيه سريعا وانتشى هو بغرور ذكوري بحت

***

وكانت تلك مجرد البداية

لسلسلة من التنازلات

والتالي كان على رأس أولوياته عندما خطط وقرر وهو يخط بيده اختيارات أستمارة مكتب التنسيق

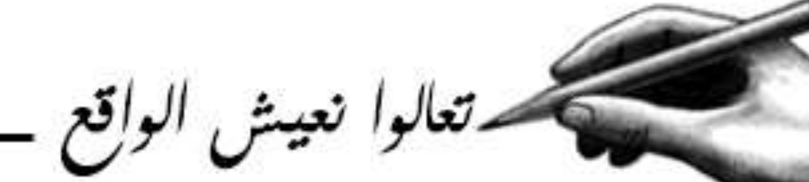
-يا كلية اقتصاد منزلي يا أما تمريض ،غير كده لاء

وظلت تبكي :

-بس ده ماكنش اتفاقنا أنا مجموعي يدخلني طب ،اقتصاد وعلوم سياسية ،ألسن حتى

وضحك مستهزءا ،

متناسيا ،



مدعيا لأفكار بالية :

-وهتعملي بالطب ولا الألسن أيه ،أنت فاكرة أني هسيبك تشتغلي عشان ده ولا ده يتعرضلك؟!

واقترب ليمسك كتفيها وهو يقول :

-يا مريم أنا حبي ليك أكبر من أي حد يشاركني فيكِ حتى بنظرة

وهي كأي أنثى ،تلك الكلمات مفتاح قلبها بالتأكيد خاصة عندما تنبع من شريك العمر ولكن العقل لازال يصدح بأحقية الوجود

-سيبك من الشغل دلوقتي أنا حابة أدرس وأتعلم ياطارق

والرفض كان قاطع:

-وأنا مش موافق على كلية مختلطة ،أدخلي اقتصاد منزلي وهتتعلمي حاجة تنفعك وتنفع البيت

واتخذت قرارها

لم ينل إعجابه

ولكن من قال أنه نال إعجابها هي الأخرى

فكلية التمريض كانت أقل بكثير مما تطمح إليه

لكن عبارة والدتها والتي تناقلتها حماتها بكل فخر كما بقية النسوة

"الست مالهاش غير بيت جوزها "

والأخت الكبرى كانت لها رؤية متميزة بهذا المجال

"وكفاية أنه بيحبك"

وكانت تلك دوما الرايات المرفوعة

حتى بعد أول صفعة

والتتمة بعدها كانت من حماتها المصون :

-أكيد أنت اللي استفزتيه،يعني هوا هيضربك من الباب للطاق

فصرخت بوجعها:

-يضربني عشان واحد عاكسني!

فعبس وطاحت به نيران الغيرة :

-أنا قلت مافيش خروج من البيت لوحدك

-أنا كنت رايحة اشترى دوا من الصيدلية لمامتك

والأم لا تتفهم سوى احتياجات ولدها الوحيد :

-إن شالله كنت بموت اسمعي كلام جوزك

والمثل عن الغزال والأم وذاك الحيوان الهزيل لايصح

فهو رغم ماحدث

زوجها،سبع الرجال

والترضية كانت في المساء مجزية عندما تزينت له كما أمرتها حماتها وانتظرته جوار طاولة عشاء فاخر اعدته لها كترضية منها الأخرى عما فعله بها وحيدها

وفي الصباح كانت عيون أختها اللامعة وأناملها تتحس جيدها بحسد :

-يابختك يامريم ،السلسلة هتاكل منك حتة ياريت أنا جوزي يضربني كل يوم ويجيبلي زيك ده

وربما القلب منتشي بمشاعر بدائية لكن العقل لم يتقبل تلك المساومة كالحال دوما :

-تتهاني عشان سلسلة دهب ؟!

-وهيا فين الإهانة ده بيغير عليكي وبيحبك ياهبلة ،

وقالت بمزيد من التبرم :

-مش أنا نازله امبارح السوق ورجعت كدبت على فتحي وقولتله أنه فيه شاب عاكسني ولا كأنه حتى سمعني وكل اللي قاله ابقي سيبيلي الطلبات أنا اللي اشتريها



(٤)

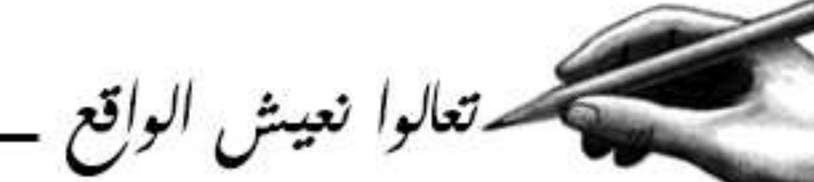
وبدأت الدراسة وانتظمت من اليوم الأول فهي كانت تملك الشغف الكافي للتعلم مهما كانت المهنة مستقبلا

تخرج في الصباح معه لتترجل من سيارته في تمام الثامنة والنصف وتعود لها في تمام الثانية ظهرا لتتمكن من إعداد وجبة الغذاء له ،التي قلما تنول رضاه وعلى الرغم من كونه يأتي على الأخضر واليابس والحادق والحلو والساخن والبارد

إلا أنه دوما ينتهي بقول:

-الله يرحم أيام طبيخك يا حاجة،ياله الحمد لله،نعمة ورضا

والهمسة المتبرمة منها لا تصله:



-اللهم قوي إيمانك ياشيخ

وتظل مريم كنحلة طنانة طوال فترة مكوثه بالبيت،وهو قد تحول لذكر دب قطبي في أعالي صحراء سيبريا أو لعجوز في السبعين من عمره غير قادر عن الحركة ولا يملك سوى لسانا يستخدمه فقط لطلب ما يشتهي منها والطلبات متنوعة ولا تنتهي ،تارة :

-مريم ،كوباية شاي

-إيه يا مريوم مافيش طبق فروت سلاط عشان جوزك حبيبك

وتارة أخرى :

-مريم .اكويلي الطقم اللي جوه

-مريم لمعي الجزمة البني

فترد متبرمة وهي لا تكاد تصدق:

-طارق،الجزمة البني مش هتليق على الطقم اللي كويته

فيبتسم لها بسماجة :

-لا ما أنا خلاص هلبس طقم تاني ،قومي أكويه عشان ألحق معادي

فتبدو علامات التعب والتذمر على وجهها وتبرر:

-طارق أنا ورايا مذاكرة ،ألبس الطقم الموجود

والرد فوري بسرعه قطار ديزل إكسبريس :

-واجبك الأول تجاهي أنا والبيت يا مريم قبل أي حاجة

حتى ظهرت نتيجة الترم الأول ،راسبة بإمتياز

وكانت تبكي ،فمذاق الفشل مر كالعلقم

وضحك واستهزاء بها أثناء تناوله حساء الملوخية:

-بقا كده يا مريم عملالي ملوخية ساقطة ،هه زيك

فقالت من وراء دموعها :

-أنت بتتريق عليا ،وبعدين مامتك اللي عاملة الأكل النهاردة أنا ماليش نفس لحاجة

ولم يبالي بها وأكمل ماتبقى له من طعام ،فاستطردت هي بلوم :

-عارف أنا لو كنت سقطت عشان ماذكرتش ماكنتش زعلت لكن سقطت عشان أنت منعتني أحضر سكاشن العملي

ونظر إليها كمن يتحدث لمجنونة :

-سكاشن العملي اللي بتخلص قرب المغرب ،أنت اتجننتي يامريم،اسيبك ترجعي البيت لوحدك بالليل

ودفعت الطبق بعنف وهي تصرخ :

-يعني هيجرالي إيه ؟

ونالت عندها الصفعة واستحقتها بجدارة في عرفه ووازتها زعقة محتده وصلت لأسماع أمه في الشقة المقابلة :

-هيا حصلت .أنت بتعلي صوتك عليا ،مفكراني إيه توتو الصغير لا يامدام أنا جوزك واحمدي ربنا إن سايبك تكملي تعليم ولا فاكرة هتتنطي عليا أكمني دبلوم

أخذت تتلمس موضع صفعته بغير تصديق واحتدت من بين دموعها :

-بطل ضرب فيا ،وبعدين ده كان وعدك ليا قبل مانتجوز

وهرب بعيناه عن مدار بصرها وقال بحزم:

-يبقا تنقلي كلية نظري

فردت بحدة :

-لاء مش هنقل

وكادت أن تستقر صفعة أخرى على وجهها لولا أن أنقذتها حماتها في الوقت المناسب

وعندما هدأت الأجواء بعد غيابه قالت حماتها بصوتها الرخيم الهادىء :

-طارق بيغير عليكي يا مريم وده حقه يابنتي

والغيرة كانت دوما ذريعته المناسبة بل وتكاد تكون الوحيدة

إذ أنه رجل حار الدماء وبالطبع هي المخطئة

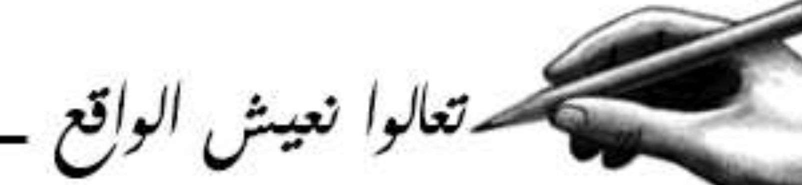
ثم التفتت لأمها الصامتة على الدوام قائلة :

-عقلي بنتك يا اعتماد،أنا ابني راجل وهيا اللي بتستفزه ومش عارفه تاخده بالهداوه

فكانت الملامة من أمها بعدد لا بأس به من الكلمات

وعندما ظنت أنه سوف يعتذر عما بدر منه إذ تزينت له عندما عاد دون طلب من حماتها كالمرة السابقة

كان له السبق..



عاد وأغلق باب الغرفة خلفه تاركا لها الأريكة التي تتوسط غرفة المعيشة مكانا للنوم ،وياللكرم أخلاقه

وبعدها بعدة أيام كان الانفراد له بالفرمان التالي دون مقدمات

-تتنقبي ،أنا ماقدرش استحمل نظرات الناس دي كلها ياكده ياتقعدي في البيت ومافيش كلية

"من حكم في ماله فما ظلم"

والحكمة تلك لمرة كانت على لسان والدتها

فاعترضت على الفور:

-هوا ما اشترنيش بفلوسه ياماما

واحتلت أختها المقعد جوارها :

-الست لازم تسمع كلام جوزها وبعدين فرصة تقربي من ربنا وتاخدي الثواب

وعند عودتها من منزل والدتها كانت حماتها تنتظرها بشقتها بعد أن فرغت من إعداد طعام العشاء لهما ودون مقدمات قالت :

-هاه اشتريتي حاجة النقاب يامريم؟!

فنكست رأسها وقالت بصوت ضعيف :

-لسه بفكر

ولسان حماتها حمل تهديدا مبطنا في تلك اللحظة:

-وأنت لسه هتفكري ،طيب براحتك بس بقا ماترجعيش تلومي عليه لو اتعصب زي المرة اللي فاتت وأنا مش كل مرة هبقا موجودة أنا مش عيشالكم العمر كله يابنتي

وخرجت الأم الرؤوم عائدة لشقتها تاركة إياها تتحسس وجنتها وبالتحديد،

مكان الصفعة التي لازالت تؤلمها جوار أشياء أخرى

وانصاعت لأمره

ثم صمتت

واعتادت الصمت وألفته ،حتى بعدما حرمها من حضور الامتحان النهائي عقابا لها على تسامرها مع زميلتها لساعة متواصلة على الهاتف ولم يكن ذلك العقاب منبعه تلك المكالمة الهاتفية فحسب ولم يكن الوحيد أيضا ،فقد استقر لجواره صفعات أخرى عندما ذهب لاصطحابها من الكلية فوجد أخ زميلتها يسير بالقرب منهما

فكان بعدها المنع التام من الدراسة ووداعا لشهادتها الجامعية

(٥)

جبااااار

جباااااار

في قسوته جبار

***

والتنهيدة خالصة من قلبها

والدموع المنسابة تزيد من حرقة وجنتيها المكدومة بلكمة من قبضته

وهي تتحرك ببطء وبحذر

فساقيها لم تتماثل الشفاء بعد والألم يكاد يفتك بظهرها

والحسرة ترتسم على وجه أمها ورغما عنها قالت :

-اللهي ينشك في إيده

والبسمة الساخرة التمعت بمرارتها فوق شفتيها :

-لو سمعتك حماتي

فعادت أمها لتقول :

-بس أكيد استفزتيه يا مريم ،ماهو مش معقول...

ورفعت يدها مستجدية الصمت من قبل أمها :

-ايوا معاكي حق أنا اللي غلطانة

واسترجعت تفاصيل المعركة التي خاضها زوجها فوق حنايا جسدها مستخدما فيها قبضته المدعمة بخاصية اللكم فوق عظامها وأنامله التي استأثرت بجذب خصلات شعرها تأديبا لها

وكان الخطأ الذي ارتكبته أنها استضافت ابن الجارة التي اضطرت للخروج لأمر هام

استقبلت طفلا ذو سبعة أعوام في منزلها بملابس البيت المغرية والمكونة من سروال من الجينز وقميص دون أكمام

وهل تدري هي ماقد يدور في مخيلة صغير مثله ؟

أو ماذا قد يخبر والده عنها بعد أن رآها بتلك الملابس الفاضحة؟

وبالطبع لا تدري

ولن تفعل

ولذلك هي المخطئة

وفي المساء كان يقترب منها

يدلل ويعطف تماما كما هو الحال بعد كل مرة

-أعمل إيه بغير عليكِ ومابقدرش اتحكم في نفسي

ولمعة الماس قد تكون مختلفة فهو يعلم بأنه "زودها شوية"

فكما قالت له والدته عاتبة

"مافيش راجل يدي مراته بالبونية يا طارق أخرك قلم على الوش مابينش"

ومع ذلك أدارت وجهها فهي ماعادت تطيق النظر إليه

فاقترب يداعب كتفها السليم بحذر :

-أنت عارفة أني بحبك

-تقوم تضربني كده وتبهدلني

فقام وقبل رأسها يستجدي عفوها وصوته يهمس بها :

-من ساعتها وأنا الموجوع أكتر منك

والتفت إليه ولمعة الماس لجوار لمعة عيناه بالرغبة وصوت أختها التي تمنت أن تكون مكانها يرن في أذنها

حتى أصبحت تلك العادة

عدا أنه ماعاد يستجدي عفوا

والنصيحة الذهبية من فم أختها كانت

"بكرة أما تجيبلو حته عيل لايمكن يمد أيده عليكي"

هي كانت ترجىء الحمل دون علمه حتى تنتهي من دراستها وتحملت الهمز والغمز واللمز من حماتها في سبيل ذلك

ولكن ماعاد هناك طائل ،فكفت عن تناولها ولكن مع ذلك لم يختلف الأمر كثيرا

ومضت سنة أخرى

لم تختلف كثيرا عن سابقتها

والواقع يقر أنها أصبحت بارعة في تفادي كل ماقد يغضبه

وأحيانا تستطيع الفرار قبل أن تبطش بها قبضته إن تناست أمرا ليس بهين في عرفه

كشباك مفتوح أو باب موارب

وأحيانا كثيرة لا تستطيع

وتتلقى الضربات وتنالها الكدمات

وبعدها كلمات لا معنى لها أو بالأحرى لاقيمة لها

فهي دائما وأبدا

المخطئة

****

-يابختك يامريم ،جوزك صبر على عدم الخلفة ٣ سنين ،تعالي شوفي المحروس جوزي امبارح بيقولي أعمل اللوز عشان بشخر ،ماهو من غلبي مع ابنه طول النهار

ولا حيلة لها سوى البسمة

ربما هم يرون مالاتراه أعينها

هي محظوظة رغم أنها منقوصة ،ولكن عن أي نقص يتحدثون

عادت لشقتها وهي تشعر ببعض التعب

تحتاج لقليل من الراحة قبل أن يعود ويكتشف بها خطئا ويكون من نصيبها بطشا لاقبل لها به

والسخرية تقتات من ذهنها

أنها ترجو الراحة لجسدها كي تستطيع تحمل المزيد من الضربات المستقبلية

والدوار أصبح يغشي ناظريها بالإضافة أنها متأخرة بضعة أيام

وضعت يدها أعلى بطنها المسطحة

أترى الحلم يتحول لحقيقة ؟!

والإجابة كانت بعلامة مميزة فوق شريط اختبار للحمل

والبسمة الهادئة أنارت ملامح وجهها

أخيرا ستتخلص من غيرته المجنونة وسيتحول طارق لكائنا لطيفا يراعيها ويراعي حملها

وفي المساء كانت قد تزينت وأعدت عشاءا يليق بتلك المناسبة الفريدة

رسمت عيناها بالكحل الأسود كما رسمت حياتها القادمة بالأماني العريضة

فإذا ما جنبت غيرته الشديدة وتوابعها المدمرة والمهينة ستجد نفسها غارقة لأذنيها في بحور هواه

كما أنه ليس برجل سيء ،

أو كما تخبرها أختها دوما ليس ببخيل أو خائن ،هو يحبها ويغار عليها ،ولسوء حظها أنه منفعل سريع الاشتعال دوما فيما يخصها وكل يوم سيمضي بينهما ستقل حدته وهي ستجيد في المستقبل تفادي ويلات غضبه

وكمايقولون "ضرب الحبيب زي أكل الزبيب"

أطفأت الأنوار وأضاءت الشموع على رأس الطاولة ،رمقت نفسها في المرآة أمامها

فالحمل قد زادها جمالا أو ربما تلك خيالاتها ولكن لا يهم فهي جميلة وهذا ما يصيب زوجها بالجنون

استرقت الأنظار من خلف النافذة فرأت سيارته تستقر في المدخل تحت العقار ،

فأسرعت تحمل كأس العصير المثلج ووقفت تنتظره خلف الباب

فهل كانت تلك جريمة؟

ربما ،إذ صدح صوته بأعلى مستوى:

-محصل الكهربا كان بيعمل إيه السعادي قصاد الباب وأنت إزاي تقفي كده وإيه اللي في إيدك ده ؟

لم تملك ردا إذ أنها ضائعة مشتتة بين كأس طار ووقع وفي الحال تهشم تحت قدميها

وبين أعينه المستعرة بنيران شكه وغيرته عليها

وفعليا هي لا تدري عن أي رجل يتحدث هي لم تلمح سواه عندما فُتح الباب،

فقد كانت تقف على بعد أمتار من مدخل المنزل فردائها العاري لم يكن يناسب الوقوف بباب

والصفعة كانت بداية الطوفان

طوفان غضبه المدعم بالقبضات التي استقرت فوق أنحاء جسدها الضعيف بحمله أوبدون

وجهها بالطبع لم يسلم من تلك القبضات بل وكان لخصلات شعرها نصيبا هائلا منها

وصوتها يعلو بإستغاثة وكلماتها لم تكن سوى :

-كفاية ،كفاااااية

(٦)

"حب أيه اللي أنت جاي تقول عليه

أنت عارف قبلا معنى الحب إيه ؟"

يقولون أن أم كلثوم كانت ترقد بسرير المشفى وسمعت تلك الكلمات على لسان إحدى الممرضات ترد بها على ادعاءات حبيبها وكان عبد الوهاب محمد في زيارتها فطلبت منه كتابة أغنية تكون تلك الكلمات مستهلها

وهاهي كأم كلثوم ترقد بالسرير المعدني والأغنية يبدو أن أحدهم قرر مشاركتها مع الآخرين وإلى جوارها كان طارق يقف بركن منزوي مظلم كفعلته

فزوجته فقدت حملها جراء ويلات قبضته

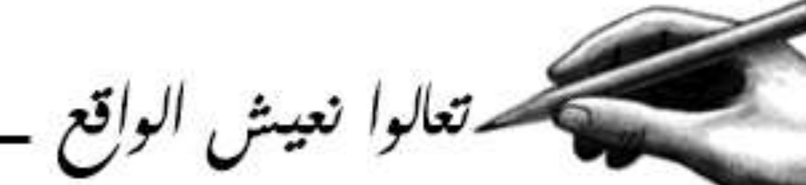
وحماتها كانت تجاورها تهمهم بعبارات لم تفقهها ،وأمها كانت صامتة وربما لأول مرة ترى بالفعل مايفعله طارق بصغيرتها ،فالطبيب لم يستطع الكشف عليها إذ رفض الزوج وبشدة أن تنكشف زوجته على رجل ،فمكثوا بوقت ليس بهين في انتظار الطبيبة التي لم تكن لسوء حظ صغيرتها متمرسة بما يكفي ففقدت ابنتها الكثير من الدماء وستمكث في المشفى ربما لأسبوع قادم فذلك الكسر بذراعها والقطع بوتر ساقها أيضا لايساعدان

-سيبونا لوحدنا شوية

وانصاعت المرأتان لأمره فأمه لم تكن لترفض طلب وحيدها وأمها لم تكن لتعترض من الأساس

وأصبحا بمفردهما، هل كانت خائفة ؟

ربما



فهي بحق أصبحت تخشاه ،لكن المخدر الذي يسري بعروقها أضاف لدمائها الكثير من اللامبالاة

-كان ابن مين ؟

واستغرقت وقتا طويلا لفهم سؤاله المكون من ثلاث كلمات لاغير

والكلمة الأولي

"كان"،

بالطبع "كان" فعل ماض يعبر عن كل ما انتهى ومات واختفى

فإذا كانت فقدت استقامة ذراع من عظم فكيف لها ستحتفظ بجنين بشهره الأول فحسب؟!

والوقت طال إذ أنها بحاجة لتصديق جنوح عقله عندما تأملت الكلمة الثالثة

"مين"

أهذا كان مغزى سؤاله ؟

أحقا مايقول ؟!

يتنصل من مسؤلية أفعاله ليدفع بطرف ثالث مجهول هو نتاج عقله المأفون بغيرته وشكه

والرد أتى بعدها حارقا بلهيب غضب الصمت الذي انتهجته بسنوات زيجتهما الفاشلة:

-ابن محصل الكهربا

فصرخ بها وصرخته أنقذتها من بطش قبضته،إذ اندفع طاقم التمريض جوار الطبيب الذي رفضه من قبل وبصحبته ضابط شرطة كما أملى عليه ضميره المهني

والصرخة بالمقابل كانت لها بأحقية أوجاع جسدها المتفرقة وألم كرامتها النازفة :

-أنا عاوزة أعمل محضر

***

البداية كانت بفتاة مراهقة أغشتها أحلام ذويها ومثيلاتها

عن الحب وجنونه ومواصفات الحبيب الأمثل

يغار عليها حتى من لمسة الهواء، يحاصرها وأينما تذهب يكون ملاصقا لها

بجسد مفتول العضلات ،يدفعها بقوة لينال قبلة تدمم شفتيها

وبقسوته تستظل وتحت حمايته تستقر

والنهاية كانت لإمرأة مطلقة

تنازلت عن الحلي وكل الحقوق

وفوقها شهادتها الجامعية

مقابل حريتها

وعادت لمنزل أهلها المكدس

عادت للصفر أو تحته بقليل

فسمعتها أصبحت ملطخة بإعتراف سردته تحت سلطة عقار مخدر وأوجاع تمنت لو تطاله ولو بشيء يسير

وسمعها لا يستقطب سوى الكلمات اللائمة عن خيبتها وقلة حكمتها وتهاونها في إنقاذ حياتها من الفشل

إضافة لصوت الطبول وصوت المغني البائس تحت نافذتها

"النهاردة فرحي ياجدعان

عاوز كله يبقا تمام

يمكن ربنا يهديني وأكمل ...."

ولم تكمل هي الاستماع فقد أغلقت أختها النافذة:

-ده بيعمل كده بس عشان يغيظك ،بكرة يطلقها ويرجعلك

وكانت فعليا تنظر لها بغير تصديق:

-أنا بريته من كل حاجه عشان يطلقني ،أنا اللي سيبته

والخيبة ارتسمت على معالم وجه أختها :

-الله يسامحك يا مريم ضيعتي نفسك

وتلك المرة لم تمتلك سوى الموافقة فأختها كانت محقة دون أن تدري:

-صح ،أنا ضيعت نفسي ،لما سمعت كلامكم وصدقتكم

وضحكت والضحكة تصاعدت

والغرفة شهدت تناقل ساقيها وبجنون رقصتها تابعت:

-فارس الأحلام اللي أفعاله جنان في جنان ،بيحبني وبيغير عليا ومن كتر حبه يكسر فيا

ضرب وإهانة وماله ،ماهو أصل حمش يا جماله

ده زينة الشباب اسم الله ،وألف عين عليه والله

وأنا أصلي اللي غلطانة ولشوشة راسي غرقانة

الصبح يفطرني غباشة وبالليل يعشيني بدراع ولا الكماشة

وأنا كنت أحلم ولا أطول

ده طارق عضلات سو كوول

وطب إيه ولا ألسن

دي كلها مجرد أوهام ،المهم فارس الأحلام

وأمها كانت بالباب تراقب خطواتها المتعثرة برقصة وكلمات غير مفهومة ومصمصة الشفاة حاضرة جوار الدمعة المترقرقة وصوتها يشدو بحزنها :

-عيني عليك يا ضنايا ،منك لله يا طارق يابن سعاد،الحقنا يافتحي

وفتحي كان حاضرا عندما غابت مريم عن الوعي

وظل حاضرا فهو الرجل الأوحد بحياتهم مؤخرا

كان صاحب جسد هزيل رفيع بعض الشىء يعاني من كرش دائم الظهور عند تناوله لوجبة الفول أو العدس أو أي وجبة تنتمي لعائلة البقوليات ،عدا ذلك يكاد لا يلحظ

خصلات شعره مشذبة بعناية ،قصيرة وإن طالت يحدث مالا يحمد عقباه

عيناه ليست ساحرة بشعاع

عيناه عادية كصاحبها تستقر خلف عوينات غير سميكة جراء عمله كمحاسب بأحد شركات القطاع الخاص

وفتحي فوق كل ماسبق اسمه فتحي واسمه المستعار فتحي أيضا ،ليست بسوو كوول أو ماشابه من تلك الأوصاف

هو لا يمتلك سيارة فارهة ولا وقف يوما يستمع لغزل الفتيات وينتشي به غرورا ،إذ الوحيدة التي غازلته يوما كانت المرحومة والدته

ولكنه لم يكف عن استخدام عبارات الغزل في حياته والموجهة في كل الوقت لزوجته ،المتبرمة على الداوم فغزله ليس بأبيات شعر أو سطور مقتبسة من روايات لغرام المراهقين

غزله يكاد يكون صامتا والتعبير الأمثل له بأفعاله

فهو عندما يهم بتناول طعامه يسأل منى أولا باهتمام منبعه القلب :

-أكلتي؟

وعندما يطمئن أنها قد تناولت طعامها يشرع في الأكل بعدها وبعد انتهائه يبتسم لها قائلا :

-تسلم إيدك

ومن ثم يحمل الأطباق ويقوم بغسلها ثم يعود حاملا صينية بها كوبان من الشاي ويجلس لجوارها صامتا يتابع ما تشاهده هي من برامج أو مسلسلات دون تبرم

ومع ذلك تنظر له منى بضيق ،

فهو صامت على الدوام

هادىء ويالها من كارثة

ولذلك ولأجل كل ماسبق من قول أو فعل بجانب وصف ،

فهو رجل وليس مجرد ذكر

وخلف كل خيبة إمرأة ذكر

وخلف كل دفعة لأمرأة رجل

وكانت الدفعة من فتحي الذي اصطحب مريم بعد تماثلها الشفاء ليومها الأول نحو مدرجات كلية التجارة دون علم أختها أو حتى أمها التي كانت تمضي بسعي دؤوب نحو تزويجها نكاية بطليقها

ومضت سنوات أربع أخرى بالتمام والكمال

وتخرجت مريم وعملت كمتدربة بالشركة التي يعمل بها زوج أختها ومضت الأيام وأمها قد تنازلت عن شيئا يسيرا من أفكارها البالية

فالصغيرة برعاية فتحي وهو بمثابة أخ لها



وحان وقت الختام

-منك لله يافتحي أنت السبب

قالتها أختها بهمس متعب وجبين يتصبب عرقا لم يتوانى هو عن مسحه رغم شكواها

ودافعت عنه مريم :

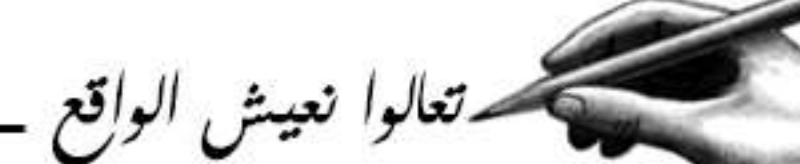
-ياشيخة حرام عليكي هوا كان ذنبه إيه ؟

فضحك فتحي وقال:

-سيبيها يا مريم ده وجع طلق ربنا يعينها وأنا مسامح ياستي

ولم تمتلك سوى البسمة وبعد قليل تلتها الضحكة عندما رأتهما يحملان الوردية متناهية الصغر وقالت وهي تراقبها بأعين لامعة :

-هتسموها إيه ؟



فرد فتحي على الفور :

-مريم

وهزت أختها برأسها موافقة واعترضت هي :

-حرام عليكم ده اسم قديم أوي

فضحك الأب ساخرا من نفسه قبل أن تسخر منه زوجته :

-مش أقدم من فتحي

وقطع حوارهما العفوي اتصالا طارئا ومعالم وجه زوج أختها المحتقنة زادت من قلقها فقالت ريثما انتهى من المحادثة :

-خير يافتحي ؟

فتنهد بقنوط :

-المدير الجديد هيوصل النهاردة وأنا كنت مقدم على أجازة وفيه شغل عاوزين يخلص قبل مايشرف

فأظلمت ملامح وجه أختها وقالت بتبرم :

-هتسيب مراتك لوحدها في المستشفى وتروح الشغل يافتحي ،بقه ده معقول

فقاطعتهم مريم :

-لاء ياستي هيفضل قاعد جمبك ،أنا هروح أخلص الشغل

فحاول فتحي الاعتراض ولكن مريم أوقفته بإشارة قاطعة من يدها :

-خليك قاعد هنا يا أبو مريم ،دي أقل حاجة أرد بيها جمايلك

***

لاتدري كم من الوقت مضى عليها ولكن النافذة المظلمة خلفها جعلتها تدرك أنها أصابت ساعات الليل أثناء عملها المتواصل دون أن تشعر

دلفت هناء للغرفة زميلتها المتدربة الأحدث قائلة بتعجب :

-مريم أنت لسه عندك هنا ؟

والتعجب بحق كان من نصيب مريم فزميلتها لاتكاد تكمل ساعات اليوم الأساسية حتى تتهرب من العمل بأي حجة فقالت ساخرة :

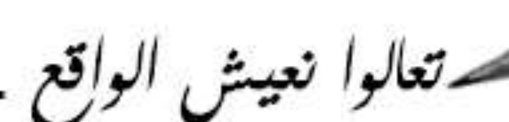
-أنت اللي لسه عندك هنا يا هناء ،خير ،قاعدة ليه كل ده ؟

فاقتربت منها هناء وهي تشير بيدها نحو الخارج قائلة بأنفاس لاهثة :

-أنت ماشوفتيش المدير الجديد ،سوو كوول بجد ،طول بعرض وعضلات إيه وشياكة إيه

والسخرية تعاظمت بمعالم مريم والضحكة الخلابة تناقلتها الأجواء فأسرت أسماعه واقترب من الغرفة دون أن تشعرا الفتاتان

وتابعت بسخرية:



-والله لو جيبتيلي الدزنانور حتى ،قال سوو كوول قال ،رّوحي يا هناء، رّوحي طالما خلصتي شغلك

وضعت قلمها بحدة وقامت من مجلسها

وعندها أبصرته

نسخة متكررة من طارق غير أنه يرتدي حلة قاتمة وعيناه مسلطة تماما عليها

فسارت بثقة وتجاوزته

وكما تغنت شريفة فاضل من قبل

على مين على مين على مين على مين

ياسيد العارفين

إن كنت جاى تغنى روح اسئل قبلا أنا مين

ماتروحش تبيع المايه فى حارة السقايين

أو كما يقولون

لايلدغ المؤمن من جحر مرتين

وهزأت بهمس وصل لأسماعه حتى التفت لها :

-قال سو كوول قال ،كان غيرك أشطر

فهي اكتفت من أشباه الرجال ال "سوو كوول "

هي تريد رجلا من واقع الحياة وليس من واقع الروايات الخيالية

رجلًا لا يهنأ إلا بها

رجلًا يبقى لجوراها وقت تعبها

رجلًا يمنحها الأمن والثقة

رجلًا يدفعها نحو الأفضل لها..

تمت

٢٠١٧/٤/١٥

يسرا مسعد

شخابيط وردية